نهائيا على الصعيد السياسي، العزل الذي وصل الى ذروته هذا العام في الامم المتحدة.

المهم ، انه في نيسان الماضي عقدت في الامم المتحدة دورة استثنائية تاريخية للبحث في الموارد الطبيعية ردا على مؤتمر مواجهة الدول المنتجة للنفط الذي عقد في واشنطن في شباط ١٩٧٤ . وجاء وزير خارجية المانيا الغربية آنذاك ورئيسها الحالي فالتر شيل لكي يلقي كلمة السوق الاوروبية في الدورة .

وفوجيء الكثيرون « بنعومة » الخطاب ، خصوصا وان الرئيس هواري بومدين كان قد القى اطروحة تاريخية في الدفاع عن العالم الثالث ضد مطامع الدول الصناعية.

... وتبين فيما بعد ان فالتر شيل وضع خطابه بعد التشاور مع الزعيم الجزائري، وحرص على صياغته بصورة لا تغضب الدول العربية .

وكما يقول المثل العامي « هاالله هاالله يا دني ... » فالدولة التي ضحت بكل العلاقات العربية من أجل الرغبات الاميركية والاعتراف باسرائيل في الستينات ، صارت تشاور واحدا من أكثر الزعماء العرب تصلبا .

في عام واحد تطور الموقف الالماني من عدائي الى أقل عداء الى متفهم ... مع انه لا يزال بعيدا جدا عن ان يكون موقفا موضوعيا .

لقد اخذنا التطور في الموقف الالماني كمثال واحد في طبيعة وتطور الرؤيا الدولية الى القضية الفلسطينية خصوصا والقضية العربية عموما . وهو مثال على نوعية واحدة من البلدان الاوروبية والغربية ، لا يزال عددها مع الاسف كبيرا . لكن ثمة ثلاثة مواقف جوهرية ، على صعيد الافاق الدولية ، تستحق الدرس والمقارنة .

اولها الموقف السوفياتي (ومعه طبعا الكتلة الاشتراكية) لكونه مؤيدا تماما ، وثانيها الموقف الفرنسي ، لكونه أكثر المواقف الغربية انفتاحا واستقلالية ، وثالثها الموقف الاميركي لكونه الاكثر عداء .

ان في المواقف الثلاثة تطورا أساسيا مهما بدا في الظاهر وكأن هذه المواقف لا تزال واحدة. فالواقع ان القوى الثلاث عدلت كثيرا في جوهر نظرتها الى القضية الفلسطينية، مع ان منطلقاتها في ذلك لا تزال واحدة .

● للموقف السوفياتي من القضية الفلسطينية منطلق واحد، هو المنطلق الايديولوجي، برغم ما يرافق هذا الموقف من تطلعات للدولة السوفياتية نفسها ، أي التطلع الى المصالح التي قامت او يمكن أن تقوم مع عالم عربي متطور .

لكن الموقف السوفياتي الجوهري لم يتغير ولم يتعدل . عندما بدا في احدى المراحل ان المصالح السوفياتية مهددة بالخطر ، بل على العكس ازداد تأييدا ودعما لـــدول المواجهة وللثورة الفلسطينية خصوصا وللدول العربية المنفتحة على موسكو بصورة عامة . اذ لم يكن ممكنا ولن يكون ممكنا للاتحاد السوفياتي ان يتخذ مواقف تتناقض مع فكره وتركيبه وتاريخه ، مهما فرضت المواقف المعاكسة عليه ، او مهما بلغ شأن سياسة الانفراج والوفاق مع الولايات المتحدة الاميركية .

والدليل طبعا ان مسار الموقف السوفياتي ظل كما هو ، او بالاحرى ازداد تعمقا ، بعد تغير القيادة السوفياتية وذهاب نيكيتا خروشوف الذي سجل اول توجه جـــدي نحو العالم العربي عندما كانت الثورة المصرية في بداياتها .

لكن لا بد من ملاحظة التطورات الايجابية التي طرأت على الموقف السوفياتي من « صفقة الاسلحة التشيكية » الى السد العالي الى حرب ١٩٦٧ الى الموقف اليوم ، الموقف المتكامل من الثورة الفلسطينية .